

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

"شعرية البياض في قصيدة الومضة" قراءة في شعر فاضل حاتم White poetry in a flash poem Read in Fadel Hatem's poetry

وفاء بوراس Bouras wefa ميلود قيدوم miloud guiddoum
miloud.guiddoum@gmail.com bouras.wafa@univ-guelma.dz
جامعة 8 ماي 1945 قالمة، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية،
Université 8 Mai 1945 Guelma ,Laboratory of Lingustic and Literary Studies.
المؤلف المرسل: وفاء بوراس Bouras wefa bouras.wafa@univ-guelma.dz

تاريخ القبول : 2020-04-04

تاريخ الاستلام : 2020-02-23

ملخص:

نهدف من خلال هذا البحث إلى التعرف على جماليات البياض وتجلياته في قصيدة الومضة التي تعد آخر صيحات الحداثة، لما تحمله من خصائص تفرد بها هذا الشكل الشعري. وتعد نقاط الحذف التي يتركها الشاعر داخل متن قصيدته منفذا يتسلل عبره القارئ إلى النص الإبداعي، ولقد عمد الشاعر "فاضل حاتم" إلى توظيفه بكثرة في العديد من أشعاره مثله مثل غيره من الشعراء المعاصرين. وهو ما جعلنا نتوصل إلى نتيجة هي أن الشعر العربي المعاصر عرف تحولات عديدة أهمها قصيدة الومضة التي عكست تأزم نفسية الشاعر المعاصر الذي اتخذ من الصمت ملاذا له فحمله شعرية ظاهرية ودلالات عميقة مفتوحة التأويلات.

الكلمات المفتاحية: الشعرية، البياض، قصيدة الومضة، الشعر المعاصر، الفراغات.

Abstract:

We aim through this research to get to know the aesthetics of white and its manifestations in the poem Al-Wamda, which is the latest trend of modernity, because of the characteristics unique to this poetic form. To employ him a lot in many of his poems, we will finally reach the conclusion that contemporary Arab poetry has witnessed many transformations, the most important of which is the flash poem that reflected the crisis of the contemporary poet who took silence as a haven for him.

Key words: poetic، whiteness، flashing poem، contemporary poetry، Blanks.

1. مقدمة:

يسمى بقصيدة الومضة وهي تجربة فنية مازالت فتية على الساحة الأدبية ذلك أن ميلاد أي جنس أدبي يكون حوله الاضطراب و الاستقرار إلا أن يتقبل و يصبح منتشرا ومعروفا على نطاق واسع .
وقد غلب على هذا الفن الشعري الذي يسمى بـ "قصيدة الومضة" خصائص ومميزات جعلت منه

يحفل الشعر العربي المعاصر بتجارب عديدة تسعى كلها إلى تجاوز النمط المألوف والخوض في غمار الحداثة و التجديد الشعري ونظرا لطبيعة العصر الذي أصبح يميل إلى الاختصار والاقتصاد اللغوي و التكثيف الدلالي، فقد تم تأسيس جنس أدبي جديد

الله" والشاعرة التونسية "راضية الشهابي" والشاعر الفلسطيني "عز الدين المناصرة" وآخرين كثروا في بحثنا هذا ركزنا على الشاعر العراقي "فاضل حاتم" انطلاقاً من نماذج مختارة، بغية الكشف عن شعرية الصمت وتجلياته في قصيدة الومضة وأهميته في تحقيق جمالية النصوص ورغبة في تشجيع الدارسين للبحث في هذا المجال.

وللغوص في هذا الموضوع ارتأينا طرح تساؤلات عديدة شغلنا كثيراً منها:

ما المقصود بشعرية البياض؟ وما هي قصيدة الومضة وكيف تجلت شعرية البياض في شعر فاضل حاتم؟

قد وقع تخيرنا على هذا الموضوع لأسباب موضوعية وأخرى ذاتية، فمن الدوافع الذاتية اهتمامنا بالشعر العربي المعاصر وتخصصنا فيه ورغبتنا في تقصي كل جديد في هذا المجال خاصة وأن قصيدة الومضة إبداع فني جديد يحتاج إلى الكثير من البحث والتشجيع، ومن الدوافع الموضوعية ندرة الدراسات في هذا المجال ذلك أن شعرية البياض طريقة فنية جديدة لم تلق حقها من الدراسة خاصة من خلال حضورها في قصيدة الومضة.

وقد استندنا تبعاً لذلك للمنهج الوصفي التحليلي على اعتباره أنسب منهج في هذا المجال.

التأويلي. كما تستند الشعرية إلى المعطى اللساني غالباً، من حيث استعانتها بأدواته. وترتبط الشعرية بروح الشعر أثناء تحقيقها خارج النوع الشعري.¹ كما تعتبر الشعرية "مصطلحاً لسانياً يونانياً (poétique)، يتكون من ثلاث وحدات لغوية (poeim) وهي وحدة معجمية تعني في اللاتينية الشعر أو القصيدة، واللاحقة (ic) وهي وحدة مرفولوجية (morpheme) تدل على النسبة وتشير إلى الجانب العلمي لهذا الحقل.²

جنساً فريداً من نوعه، والملاحظ أن أغلب هذه القصائد تأتي على شكل كلمات موجزة متناثرة على فضاء الورقة مما يشكل بناء بصرياً فنياً مختلفاً عن باقي الأعمال الإبداعية الأخرى، حيث يغلب عليها طابع البياض أو الفراغ بين الكلمات والجمال فلا تكاد تخلو أي قصيدة ومضة من وجود نقاط الحذف. هذا وقد عدّها النقاد والباحثين طريقة شعرية تخلق جمالية النصوص وتفتحها على فضاء واسع من التأويلات اللامتناهية، فمن خلالها يتمكن القارئ من الولوج إلى عالم النص بغية تفسير ذلك الحذف والمشاركة في عملية الخلق أو الإبداع الفني.

وقد راجت قصيدة الومضة في العالم العربي مشرقاً ومغرباً وأصبحت المنافس الحقيقي لقصيدة النثر فهي وإن انطلقت من عناصر جوهرية موجودة فيها كالتكثيف الدلالي، والغموض الفني باعتبارها قصيدة الرؤيا بامتياز، إلا أنها تجاوزتها لتنهل من خصائص أخرى عرفتها القصائد العربية والغربية على حد سواء ولم تكف بذلك بل أضاف لها مبدعوها عناصر أخرى شديدة الوثاق المجتمع المعاصر لتصبح بذلك عنصراً فنياً إبداعياً وجمالياً قديماً ومعاصراً في آن واحد.

ومن بين أهم الأسماء اللامعة التي أبدعت في كتابة قصيدة الومضة نجد الشاعر الأردني "إبراهيم نصر

2. مفهوم الشعرية:

1.2 في الدلالة اللغوية:

ظهر مصطلح الشعرية poétique لأول مرة عند اليونان وهو عبارة عن "مفهوم أوجده أرسطو قصد تعيين نظرية الأنواع الأدبية ونظرية الخطاب، حيث جاءت كمكمل للنقد الأدبي. كما أن الشعرية تتعلق بالأشكال غير المرتبطة La Singularité لهذا العمل الإبداعي أو ذاك. فهي تتجلى في رؤيتها الوضعية الخالصة على خلاف النقد الأدبي في منظوره

الحقيقة، إن وجود القوانين أيا كانت نوعيتها - في الخطاب اللغوي أمر بدوي، فلا بد - في كل خطاب من وجود قوانين تحكمه، ولكن المهم هو ماهية هذه القوانين والكيفيات المتبعة في استبطائها.⁵

والشعرية أيضا هي "قوانين الخطاب الأدبي، وهذا هو المفهوم العام والمستكشف منذ أرسطو وحتى الوقت الحاضر، غير أن الشعرية الحديثة لم تنحصر في مجال نظريات الأدب، بل اتسعت لتشمل فنونا إبداعية أخرى منها الفن التشكيلي والفن السينمائي، كما اتسع المدى أكثر فأكثر ليصل إلى البحث في شعرية الأشياء الواقعية كما عالجها غاستون باشلار في "جماليات المكان" وشعرية التصورات الذهنية كما عالجها كمال أبو ديب في نظرية الفجوة: مسافة التوتر.⁶ فالشعرية علم واسع يشمل ميادين مختلفة وقد وصفت في المدونة النقدية على مر عصورها بأنها "إنتهاك" أو "خرق" لسنن الكلام العادي، وأنها "عنف منظم" يمارس ضد الكلام العادي، وكذا فقد وصفت بأنها "تجاوز" أو "إنحراف" أو "انزياح" عن سنن الخطاب العادي، وهو انزياح أو انتهاك ينجم عنه انتقال اللغة أو تحولها من كونها محاكاة مرآوية، أو شبيهة بها، للعالم الخارجي إلى أن تكون هي نفسها عالما بديلا لذلك العالم.⁷

أما شعرية البياض فهي أحد السمات الأساسية في قصيدة الومضة فلا نكاد نعثر على قصيدة ومضة إلا وتحضر فيها الفراغات ونقاط الحذف التي أصبحت مطلبا أساسيا في بنائها ومن بين التسميات التي أطلقت عليها نجد "مساحات البياض"، و(الفواصل الصامتة)، و(البتر)، (السطور المنقطعة أو الصمت)، و(الثغرة المحدث)، و(سطر النقاط والبياض، والفراغ)، و(الكف عن تكلمة المعنى).⁸ وعلى اختلاف التسميات إلا أن تجليه في القصيدة العربية المعاصرة عموما وفي قصيدة الومضة تحديدا خلق

فالشعرية مصطلح قديم يرتبط بالأدب و يتطور بتطوره فقد سائر ميلاده منذ نشأته إلى يومنا هذا، وإن اتفق جل الدارسين على أنه مصطلح غربي بامتياز، إلا أن هذا لا يلغي وجوده في الثقافي العربية والدليل على ذلك وجود جذر الكلمة في المعاجم العربية القديمة، فمصطلح الشعرية مشتق من كلمة "شعر"، وقد وردت في معجم لسان العرب على النحو الآتي: "شعر به وشعر يشعر شعرا وشعرا وشعرا وشعرا وشعورة وشعورا... ولين شعري أي لينت علي، أو لينتني علمت، ولين شعري من ذلك أي لينتني شعرت... والشعر: منظم القول، غلب عليه لإشرفه بالوزن والقافية... وقال الأزهري: الشعر القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها، وجمع أشعار، وقائله شاعر، لأنه يشعر مالا يشعر غيره أي يعلم... وشعر أجاد الشعر، ورجل شاعر، وجمع شعراء."³

وورد أيضا في معجم الوسيط على هذا النحو: "شعر له: قال له شعرا؛ قال الشعر. - و به شعورا: أحسن به وعلم... (شعر) فلان- شعرا: اكتسب ملكة الشعر فأجاد."⁴

والملاحظ من خلال ما تقدم من تعريفات أن معنى مادة "شعر" تدل على النباهة والذكاء والفطنة وحسن التأليف، كما تدل على الشعور والمشاعر، وذلك لما للشاعر من القدرة على صياغة المشاعر ونقلها عن طريق الشعر.

2.2 في الدلالة الاصطلاحية: تعددت تعريفات هذا المصطلح انطلاقا من اختلاف وجهات النظر لدى النقاد والباحثين قديما وحديثا، فهناك من يرى أن الشعرية هي "محاولة وضع نظرية عامة ومجردة و محاينة للأدب بوصفه فنا لفظيا، إنها تستنبط القوانين التي يتوجه الخطاب اللغوي بموجها وجهة أدبية، فهي إذن، تشخيص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي، وبغض النظر عن اختلاف اللغات و

على هدمه و إعادة بنائه من جديد ليتحول بذلك إلى مبدع أو منتج ثاني للنص .

إن قصيدة الومضة تعمل على تحريك خيال المتلقي "لما تكتنزه من ملفوظات قليلة ، ذات دلالات كثيرة وإيحاءات خصبه ، تتخلق من ذاتها ، وعلى ذاتها ، في حركة بؤرية مكثفة ومتوترة ، ونامية مع كل قراءة جديدة ممتدة في كل دال ومدلول يتحركان ضمن دائرة العلاقات المرمزة والمفاتيح المتعددة التي تمكننا من ولوج النص".¹¹ إن ميل الشاعر العربي المعاصر إلى الإيجاز إنما هو مطلب يفرضه عليه العصر الذي يميل إلى السرعة في كل شيء مما دفعه إلى " التخلص من الروش ، و التطرير ، و الحشو ، والمحافظة على قوة الفكرة والاستثمار الدلالي الثري للألفاظ وتشكيلها في مصاحبات لغوية جديدة تركز على وظائفها الإيحائية ، لا المرجعية القصصية وتسهيل اندماج جزئيات التجربة في البنية الكلية لقصيدة الومضة ، والتي يسعى الشاعر من خلالها إلى انفتاح الومضة على دلالات رامزة كثيرة ، واختزال التجارب الحياتية للشاعر ، وتقديمها من الجوانب المخفية ، بغية إكمال الصورتين الظاهرة والباطنة".¹²

ومن خلال ما سبق يتضح أن قصيدة الومضة أصبحت واضحة المعالم لدى الكثير من النقاد الذين وإن اختلفوا ظاهريا في تعريفها ، إلا أنهم جميعا يتفقون "على سمات محددة وهي الإيجاز التركيز ، الكثافة ، الإدهاش ، قوة الإيحاء ، النزوع نحو الختام السريع والمفاجئ ، ومثل هذه الصفات لا يمكن لها أن تأتلف ، وأن تلتقي دفعة واحدة ، إلا في إطار بنية القصيدة القصيرة".¹³ وهي من دون شك قصيدة الومضة التي مكنت الشاعر من إبراز مقدرته الفنية وساهمت في دمج المتلقي في عملية الخلق الفني من خلال تفاعله معها وإن توحد شكل قصيدة الومضة وسماتها عند الكثير من النقاد ، إلا أنها اختلفت في

شعرية وجمالية فنية خاصة للنصوص ، فأصبح الشاعر المعاصر يميل إلى " توظيف البياض بوصفه نصا موازيا داخل النص ، وأن المتلقي يجد نفسه أمام نصين : (نص حاضر في المكتوب ، ونص مغيب في البياض) ، غير أن هوى البصر يميل إلى المغيب في البياض الذي لا يفصح عن نفسه بصورة واضحة ، ولا يبين عن خواتمه بشكل متواز مع المتن ، سواء عن طريق الترغيب أم عن طريق الترهيب ، وفي كلتا الحالتين يتعزز الإضمار عما لا يرغب في التصريح به بحكمة عالية ، وفي هذه الحال يستبدل الشاعر اللامقول بالقول ، و الانزياح عن المعنى الحقيقي بالإفشاء عما ينبغي الإعلان عنه ، و المسكوت عنه جمالا فنيا ، بالإفصاح عنه وجلا من الرتبة".⁹ ومن هنا فللشعرية البياض دور مهم في تشكيل النص فهي فضاء مفتوح أمام المتلقي وعنصر جد فعال في بناء قصيدة الومضة.

3. مفهوم قصيدة الومضة:

1.3 لغة: تعرض معجم الوسيط لمادة "ومض" على النحو الآتي: "فلان: رأى وميض برق أو نار. وأشار إشارة خفية رمزا أو غمزا - المرأة بعينها: سارقت النظر. وتبسّمت".¹⁰

فالومضة تشبه وميض البرق فهي تأتي كفكرة سريعة في ذهن الشاعر الذي يحولها إلى ومضة شعرية محملة بإحساس عالي ولغة فنية مكثفة ، الأمر الذي يحرك خيال القارئ الذي يعمل على تفسيرها بغية فهمها وتذوقها.

2.3 اصطلاحا: تعتبر قصيدة الومضة عملا مشتركا بين الشاعر والمتلقي فهي ترتبط بهما معا في آن واحد فهي من جهة وليدة إبداع الشاعر المبدع الذي أنتجها بفضل روحه الشاعرة وإحساسه المرهف ، ومن جهة أخرى ترتبط بالمتلقي الذي يحاول على الدوام الولوج إلى عمق النص للكشف عن بنياته الخفية والعمل

أمر طبيعي، إذ أن ميلاد أي شكل فني جديد يكون حوله الاختلاف والاضطراب إلى أن يستقر أدبيا وتتضح معالمه.

المعالم موحد عند الجميع يعبر عن هذا الأسلوب الشعري، إلا أن هذه التسميات تدور في أغلبها حول سمة من سماتها وتحمل في طياتها خصائص قصيدة الومضة كالفلاشية، والمفارقة، والقنبلة، والتلكس، ولكنها لا تعبر عن جوهرها وحقيقتها كما هي معروفة ومتداولة اليوم كما تعود إلى أشكال موجودة في التراث العربي والغربي على حد سواء، الأمر الذي جعل الكثير من النقاد يبحثون عن تسميات أخرى لها تجمع بين تلك الأصول المختلفة وتأسس لجنس جديد فكان اسم "قصيدة الومضة" من بين أكثر التسميات الطاغية والمتداولة في عصرنا هذا.

من نصوصه الشعرية فرأينا أن نخصص ديوانه "أغاني إلى مقهى كوستا" ليكون موضوع دراستنا. فله قصيدة بعنوان "أسفل الجدار" يقول فيها:

الأحلام تطيرُ من رأسي

تدورُ... تدورُ

مثقلةً بالأسى

تنسى أجنحتها على نوافذٍ مغلقةٍ

للبرد...

للحزن...

لدفعِ اللوعةِ

تلك الفراشات

والشاعرُ يجترُّ سكاترُهُ

يحتضنُ الجدار¹⁵

لقد حمل الشاعر "فاضل حاتم" من خلال هذه الأبيات القليلة والمختزلة معاني عميقة رصدت الواقع

تسمياتها من شاعر إلى آخر خاصة في بداياتها حيث أطلق عليها عدد كبير من التسميات تدل على أن معناها ومفهومها لم يستقر بعد في أذهان هؤلاء وهذا 4.تسمياتها:

اختلفت تسمياتها من ناقد إلى آخر، ويعود السبب في ذلك إلى اختلاف مرجعياتهم ومناابعهم الفكرية حيث أطلق عليها "طه حسين" اسم الإيجراما " في حين سماها "عز الدين المناصرة" "بالتوقيعة" كما أطلق عليها عدد كبير من التسميات الأخرى نذكر منها "النثيرة"، و "اللمحة، والمنمنمة، والبرقية والتلكس الشعري"، و "المفرقة والقنبلة الموقوتة، وقصيدة الخير، وقصيدة المفارقة، وقصيدة القص الشعري، وقصيدة الفكرة، وقصيدة الخاطرة والقصيدة العنقودية، واليومية و الفلاشية وغيرها من التسميات.¹⁴

إن كل هذه التسميات تدل على تشتت اصطلاحي وعدم توحيد الجهود في صياغة مصطلح قار واضح 5.شعرية البياض في شعر فاضل حاتم

أدخلت على القصيدة العربية المعاصرة تقنيات عديدة وخاض روادها في تجارب حدائية مختلفة ليتم التوصل إلى "قصيدة الومضة" التي تعتبر آخر صيحات الحدائة، والتي تتسم بجماالية خاصة لما لها من قدرة على رصد التجربة الشعرية وفق عدد قليل من الكلمات لكنها تحمل في داخلها زخما فكريا ووجدانيا عميقا، فقد أصبح الشاعر اليوم يميل إلى الإيجاز والاختصار يخصص فضاء من الصمت يتجسد من خلال نقاط الحذف والفراغات حيث يتناغم فيها البياض مع السواد بطريقة تشكل جمالية النص و شعرته.

ومن بين أبرز الشعراء العرب المعاصرين الذين أبدعوا في هذا المجال نجد الشاعر العراقي "فاضل حاتم" الذي احتفى بشعرية البياض ووظفه في العديد

وله قصيدة أخرى بعنوان "نساء" يقول فيها:

دفاتري...
 نساء
 من قصائد
 وقصائدي...
 عارية الملمسي
 ترتدي من جراحاتها
 أشرعةً للسفر
 للريح
 للمطر¹⁷

نلاحظ من خلال هذه القصيدة ارتباطا بين العنوان ومضمون القصيدة الموجزة التي تحمل بداخلها دلالات مكثفة وعميقة و الواضح أن الشاعر يعاني حالة نفسية سيئة بسبب غياب محبوبته ،حيث يفتتح ومضته بقوله "دفاتري..." ويترك نقاط حذف مفتوحة أمامنا ليلحقها بكلمة "نساء" ليزيد من إصرارنا على معرفة العلاقة بين هذه الدفاتر والنساء فالشاعر قد خص هذه المحبوبة لتكون موضوع كل قصائده .
 ففي قوله "دفاتري نساء من قصائد" يبدو لنا أن هؤلاء النسوة ليسن حقيقة من لحم ودم وإنما هن تلك المرأة المتخيلة والمثالية التي يحلم بها ليحدث المفارقة مرة أخرى من خلال نقاط الحذف فيبقى دائما القارئ يحاول أن يتسلل من خلال هذا البياض لفهم المراد من قول الشاعر وفي هذه اللفظة بالذات يحقق جمالية النص وشعريته فقصائده تعبيرا عن جراحاته وآلامه وعن خياله الذي سافر بيه بعيدا ليتركه تائها مع الريح مع المطر.

فالتوظيف الصمت أهمية كبيرة في بناء القصيدة المعاصرة وقد أصبح جزأ أساسيا ومكونا ضروريا في بناء قصيدة الومضة"وعليه يصبح البياض هو العلامة المانحة للنص المكتوب هيئة الجسماني بوصفه أيقونة مصاحبة وكابحة لسيولة السواد

المأساوي الذي يعيشه الإنسان المعاصر الذي فقد الأمل في الحياة وفي كل شيء بعدما ضاعت أحلامه و آماله ولم يعد يقوى على العيش ؛فقد أنهكه الأسى ويتجلى ذلك بوضوح في قوله "الأحلام تطير من رأسي" فلماذا يحلم إذا كانت أحلامه ليس لها فرصة للتحقق على أرض الواقع،فهذا الواقع الصعب جعله يجنح إلى الصمت ،فأحلامه تشبه عصفورا ضعيفا مثقلا بالأسى لا يقوى على الطيران ،حيث يقول الشاعر "تنسى أجنتها على نوافذ مغلقة" فهذا الانغلاق هو دون شك يعبر عن المشاكل التي يتخبط فيها الإنسان اليوم لأنه يصطدم بالعديد من العراقيل كسلطة المجتمع والسلطة وغياب العدالة ...كلها قيود تمنع طائر أحلامه من التحليق عاليا نحو الأفق فيفسح الشاعر فضاء من الفراغ يملؤه بنقاط حذف للبرد... للجنز...

فالبياض أو الفراغ الذي تركه الشاعر هنا"له حضورا في اللغة ضمن تراكيب الجمل على صور الحذف والإيجاز ،وبالتالي فنحن نشهد فيه نزوعا إلى تقليل اللفظ وصولا إلى لحظة الغياب (اللفظ) عند الخطاب ،وهذا ما يجعلنا نهتم به في التواصل ...والصمت يمكن أن نلمحه أيضا بين السطور و الفقرات ضمن الخطاب المكتوب ،فيكون انعكاسا دلاليا لحدث ذهني يريد الشاعر أو الكاتب أن يقول لنا شيئا. فذلك البياض ليس اعتباطا ...و إنما هو شحنة دلالية صامتة تخفي خطابا دفيئا. وبموجب ذلك يتحول الصمت إلى خطاب بليغ"¹⁶ فنقاط الحذف التي تركها الشاعر تفسح المجال للقارئ للتأويل والتفسير فيختزل بذلك كلاما كثيرا لأن الواقع أجبره على الصمت ،ليحدث بعدها الختام المدهش في قوله "والشاعر يجتر سكاتره يحتضن الجدار" مما يوحي أنه شاعر يأس لم يجد ملاذا ومنفذا إلا الجدار فاصطدم به وأخذ يحتضنه.

وإن كانت هذه الومضة تفسر علاقة الحب بين الشاعر و محبوبته و إن كانت ربحانة لا تقوى على الفراق ولا تستطيط الغياب فالشاعر أكثر منها وقد عبر عن ذلك بقوله " قلبي باب " فهو بذلك يمنعها من الغياب. "فمن يتأمل البنى الحذفية يترك قضية الصياغة ويتوجه إلى الفكر، حيث يشغل الفكر نفسه بالدخول في إشكالية تعبيرية ركيزتها الحذف، ومن هنا ربط الفكرة بالبعد النفسي في تحليله للبنى الحذفية، إن الحذف يؤدي بالضرورة إلى دخول المحذوف دائرة الإبهام، وهو ما يؤدي إلى حصول ألم في النفس لجهلها به فإذا التفتت إلى القرينة تفتنت له فيحصل لها اللذة في العلم و اللذة حاصلة بعد الألم أقوى من اللذة ابتداءً."²¹

يقول الشاعر فاضل حاتم في قصيدة له بعنوان "ربما"

ربّما...

نسير على رصيفين متقابلين

ربّما...

نسيرُ باتجاهين متعاكسين

ربّما...

تصادمت كَتَفَيْنَا...ومضينا²²

يبني الشاعر قصيدته هنا على مجموعة احتمالات وذلك من خلال تعمده لتكرار "ربما" ثلاث مرات بالإضافة إلى العنوان، ولكن هذه الاحتمالات غير معروفة فلم يصرح بها الشاعر فقد ترك المجال مفتوح وترك نقاط حذف ليعود في كل مرة إلى السطر، ليكشف لنا في كل مرة عن هذا اللقاء القريب البعيد في الآن نفسه عن هذه المرأة التي تسير في اتجاه مختلف و معاكس للشاعر، مما يجعله يتمنى قريبها ليمضي معها بقية حياته. فالقصيدة بالأساس قد بنيت على ثنائية البياض والسواد كما يسميه الكثير من الدارسين اليوم "إن عملية احتفاء البياض لا تؤديها مرجعية ولا يتعقها منطق في حضورها وتوزعها

الناطق، ومن ثم فهي تمارس فعل التثقيف الضوئي في سواد الكتابة دون قيد فالبياض يشكل بمجمله داخل الكتابة الشعرية استعارة وبؤرة و تحويلا، فالبياض هو المحدث للهيئة و التسمية وهو الممتد في حركية غير قارة. ولذلك فإن عملية احتفاء البياض لا تؤديها مرجعية غير قارة، ولا يتعقها منطق في حضورها وتوزعها بين الروابط و الجمل والمقاطع الشعرية، وعليه فقراءته أو مباشرته لا تحدث إلا بالدمج مع سيولة السواد وتداخله بجميع علاماته التي تسم النص المكتوب على امتداد تشكله."¹⁸

وفي دوامة المرأة دائما نجد له قصيدة بعنوان "ربحانة" يقول فيها:

ربحانة...لا تستطيط الغياب

وقلبي باب¹⁹

إن هذه الومضة وإن كانت تتكون من عدد جد محدود من الكلمات إلا أنه استطاع الشاعر وبمهارة فذة أن يختصر معاناة كبيرة في كلمات مكثفة دلالية ومضغوطة قد تنفج من أول وهلة أمام القارئ. فالشاعر قد صرح باسم محبوبته "ربحانة" لما يتميز به هذا الاسم من دلالات الرقة والنعومة ثم التزم بعد ذلك الصمت ولجأ إل ترك بياض الذي "أصبح يشكل الجزء الكبير من النص مواز للنص الناطق بالكلمات هذا الحجب للعلامات اللسانية يستقر ويحرك فضوله لمعرفة المستور، ولهذا فإن المبدع بشكل عام في هذا المجال يعبر بالكلمات نطقا وبالبياض صمت."²⁰

إن هذا الصمت في الحقيقة هو كلام لكن هذا الكلام قد يوظفه الشاعر لأسباب عديدة قد تكون فنية لكي يفتح الفضاء أمام المتلقي ليساهم بفكره و تأويله في عملية الخلق الفني كما قد تكون ضرورة شعرية تتطلب من الشاعر اللجوء إلى الصمت كما يمكن اعتبارها تشكّل وقفة فنية ينتقل من خلالها الشاعر من عوالم فنية لأخرى.

6. الخاتمة:

شهدت القصيدة العربية تحولات عديدة لتصل إلى آخر شكل حدائي معروف اليوم وهو "قصيدة الومضة" التي اتسمت بمميزات عديدة أهمها قلة عدد مفرداتها وميلها إلى الإيجاز والتكثيف الدلالي، مما جعلها تحفل بنقاط الحذف والمساحات البيضاء الفارغة التي خلقت شعيرة خاصة وأضافت جمالية سمحت للقارئ من الولوج إلى عالم النص الأدبي ويعتبر الشاعر "فاضل حاتم" من أبرز الشعراء العرب المعاصرين الذين أبدعوا في هذا اللون الشعري الجديد دواوين كثيرة تحفل بشعيرة البياض وتشكل أعماله أرضية خصبة يستطيع الباحثون من خلال التعرف على قصيدة الومضة وسماتها حتى تصبح معروفة ومستقرة كجنس أدبي جديد على الساحة الفنية والإبداعية.

7. هوامش البحث:

- ¹ Joelle gonbes taminee marie-chanbe
 hubert :dictionnaire de critique littéraire.armand
 cotin , poétique, 2004,p162.
- ² راجع بوحوش ، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات
 جامعة باجي مختار، (دت)، عنابة، الجزائر، ص57. نقلا عن:
 رحموني بومنقاش، مصطلح الشعيرة بين أرسطو طاليس
 وحازم القرطاجني، مج13، ع23، مجلة الآداب و العلوم
 الإنسانية، البوابة الجزائرية للمجلات الوطنية، ص179.
- ³ ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد
 أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف
 القاهرة، دت، ص2273.
- ⁴ مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق
 الدولية، جمهورية مصر العربية، ص484.
- ⁵ حسن ناظم، مفاهيم الشعيرة دراسة مقارنة في الأصول و
 المنهج والمفاهيم، ط1، المركز
 العربي، بيروت، لبنان، 1994، ص9.
- ⁶ المرجع نفسه، ص5.

بين الروابط و الجمل و المقاطع الشعرية ،وعليه
 فقرائه أو مباشرته لا تحدث إلا بالدمج مع سيولة
 السواد و تداخله بجميع علاماته التي تسم النص
 المكتوب على امتداد تشكله.²³
 وفي قصيدة أخرى له بعنوان "قهوة" يقول فيها:
 وأنتِ إذ تجلسين
 على طاولة مستديرة
 اطلي قهوتي معك
 سأرافقك ...
 حيث تكتمل القصيدة.²⁴

يبدأ الشاعر قصيدته بحديثه عن رغبته في اللقاء
 مع محبوبته وذلك من خلال قوله "وأنتِ إذ تجلسين
 على طاولة مستديرة أطلي قهوتي معك" وذلك لما
 للقهوة من دلالات "اجتماعية و نفسية غاية في العمق
 ،فهي ليست مجرد مشروب يمضي سريعا، ويذهب
 مفعوله ،بل هي احساس و شعور طافح بالمودة و
 الحب".²⁵ فلطالما كانت القهوة عند العربي تحمل
 دلالات خاصة تدور أغلبها في فلك اللمّة واللقاء.
 وهذا ما جعل الشاعر يقول "سأرافقك" ثم يترك
 مجال أبيض من فراغ يتجسد من خلال
 نقاط الحذف ليتخيل القارئ كيف كان اللقاء
 بين الشاعر ومحبوبته. فعمد على نقل نصه الشعري
 بلغة حسية مباشرة، معاشة من قبل الشاعر حين
 يلجأ إلى مكونات نصه الشعري، فيكون النص ساحة
 للصراع ...ملائما لحالة المتلقي فيجد شيئا من ذاته
 عند قراءة النص.²⁶

ومن هنا فقصيد الومضة اختصرت في عدد جد
 محدود من الكلمات تجربة شعورية و إنسانية فيها
 درجة عالية من الشعرية الجمالية لما لها من تكثيف
 دلالي و لما احتوته من تقنيات ،خاصة اعتمادها على
 نقاط الحذف و البياض بكثرة مما جعل القارئ شريك
 الشاعر في عملية الخلق الفني.

- ⁷ قاسم مومني، شعرية الشعر، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان-الأردن، 2002، ص.7
- ⁸ أمجد ريان، التجديد وليس قطاع التجديد، مقالة ملحقة بديوان -رسوم على الحائط - لسعيد الحميد، 203، نقلا عن: ظاهرة الصمت في الشعر الحديث، العدد 24، مجلة العلوم الإنسانية، شتاء 2014.
- ⁹ عبد القادر فيدوح، النسق المضمّر في الشعر العربي المعاصر، المجلد 9، ع17، مجلة معارف، ص.22. <http://www.asjp.cerist.dz/en/article/9251>
- ¹⁰ مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط4، 2004، ص.1058
- ¹¹ عباس محمود جابر، قصيدة الومضة: صحيفة الفينيق، الأردن، عمان، ع2000.09، نقلا عن: يحيى علي فتاح حيدر، العمود الومضة وتجلياته في الشعر العراقي المعاصر وطن بطعم جرح أنموذجا، مجلة الآداب، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، ع127، كانون الأول 2018، ص.109
- ¹² هايل محمد طالب، أديب حسن محمد، قصيدة الومضة دراسات نظرية تطبيقية: ط1، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، نادي المنطقة الشرقية، السعودية، 2009، ص.47.
- ¹³ فيصل صالح القيصري، بنية القصيدة في شعر عز الدين المناصرة، دار مجلاوي للنشر والتوزيع، 2006، ص.91، نقلا عن: رفل حسن طه، قصيدة الومضة... نحو أسلوب شعري جديد، ص.5.
- ¹⁴ طه حسين، جنة الشوك، مؤسسة النداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2002، ص.11.
- ¹⁵ حاتم فاضل، أغاني إلى مقهى كوستا، دار قلقامش للنشر، بغداد، 2019، ص.43.
- ¹⁶ يوسف رحايي، الصمت معطل تداوليا خفيا في الخطاب، العمدة في اللسانيات و تحليل الخطاب، ع3، 2018، ص.283.
- ¹⁷ فاضل حاتم، أغاني إلى مقهى كوستا، ص.44.
- ¹⁸ ناصر اسطمبول، بلاغة الصمت أيقونة البياض مقاربة تحليلية لبصرية القصيدة العربية المعاصرة، جامعة وهران، 2003/04، ص.120-121.
- ¹⁹ فاضل حاتم، أغاني إلى مقهى كوستا، ص.45.
- ²⁰ عامر بن محمد، الخطاب الشعري العربي المعاصر من التشكيل السمعي إلى التشكيل البصري قراءة في الممارسة النصية وتحولاتها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015/2016، ص.147.
- ²¹ محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ط1، ناشرون، لبنان، 1997، ص.221، نقلا عن: عمار إبراهيم عزت 25/10/2018 جماليات الحذف في شعر يعي السماوي قراءة نقدية لديوان: مسبحة من خرز الكلمات www.alnoor/se/aficle.asp
- ²² فاضل حاتم، أغاني إلى مقهى كوستا، ص.46.
- ²³ ناصر اسطمبول، بلاغة الصمت و أيقونة البياض ص.121.
- ²⁴ فاضل حاتم، أغاني إلى مقهى كوستا، ص.59.
- ²⁵ عادل الهواري، القهوة ودلالاتها اللغوية والاجتماعية 25/04/2021 <https://www.oudnad.net>
- ²⁶ حسين الساعدي الشاعر فاضل حاتم باحث وجودي عن عضوية الألم 20 جوان 2017 <http://www.azzaman.com>